الباب الرابع: في الفكر والفنّ

تمهيد

ينبني هذا المحور على بابين:

الباب الأوّل في الفكر: ويرصد أهمّ مشاغل الإنسان المعاصر وقضاياه المتعلّقة بالوجود والحياة والكون، مثل الدّيمقراطيّة والعولمة والتكنولوجيا ووسائل الاتّصال الحديثة، إلى غير ذلك من قضايا العصر.

الباب الثاني في الفنّ: ويهتمّ بكلّ ما له صلة بالفنّ مثل الموسيقى والمسرح والسينما والعمارة وعلاقة الإنسان المعاصر بها.

في الديمقراطية

نشأت الدّيمقراطيّة في أثينا القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد حيث اقتصرت على المجتمع الذكوري فقط ومنع العبيد والنساء من المشاركة فيها، ثمّ تطوّرت في مسيرتها الطويلة وشُذب منها ما يبخس حق الفقراء والنساء من المساهمة في الإدلاء برأيهم في الأمور المطروحة. وانتقلت من الديمقراطية المُباشرة إلى الديمقراطية غير المباشرة لصعوبة جمع آلاف من الناس في مكان واحد لإبداء رأيهم في قضية ما، لذا تم العمل بالتمثيل النيابي واختيار من يُمثل آلاف الناس ليتحدث نيابة عنهم. ومنذ ذلك التاريخ والعالم لا يزال يلهث وراء تحقيق ديمقراطية بما هي عدالة توزيع السلطة دون جدوى. إنه عالم يتقلّب ولا يتغيّر.

ما الديمقراطيّة:

- ليست الديمقراطية مجرد مؤسسات وإجراءات وانتخابات فقط، ولكنّها أيضا مجموعة قيم واتجاهات تشجع الممارسة الديمقراطية الفاعلة من جانب الحكام والمحكومين، وتنطلق من مقدمات بديهية مثل: إقرار حقوق الإنسان واحترامها وإصدار التشريعات القانونية التي تحميها وإقرار حرية الرأي والتعبير والتنظيم والتسامح السياسي والفكري والمساواة وحرية

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

الصحافة والسماح بالتعددية الحزبية والتداول السلمي على السلطة واحترام إرادة الأغلبية.

- إنّ كل من كتبوا عن الديمقراطية اتفقوا على تعريف واحد يكاد يقترب من معناها الحرفي الذي يقرّ أن الدّيمقراطية هي حكم الشّعب بالشعب وللشّعب أي أنّ الشّعب هو الذي يملك السلطة، والشعب هو الذي يختار الحاكم، وهذا من أجل فائدة الشعب.

وقد قال عنها الكاتب جون ديوي في كتابه القيم الديمقراطية والدين: «الديمقراطية هي أن يتمكن جميع أفراد الشعب من الإفصاح عن مطالبهم بكامل الحرية، وأن يناضلوا سياسياً بالوسائل المشروعة للتداول على السلطة بواسطة انتخابات حرة ودورية».

- كما تقوم الديمقراطية على حرية الرأي والمعتقد، والتساوي أمام القانون لا فرق بين الحاكم والمحكوم، إضافة إلى الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

العالم الثّالث والديمقراطية

إن أغلب دول العالم الثالث تشهد انفصالا شديدا بين جهاز الدولة والمجتمع نتيجة للظروف التاريخية التي مرّ بها هذا الجزء من العالم من جهة، وعدم سعي هذه الدول إلى توسيع المشاركة السياسية وإدخال الديمقراطية إلى مجتمعاتها من جهة أخرى، فأغلب هذه الدول إن لم تكن كلّها وقعت تحت سيطرة نظام الحزب الواحد وما يعني ذلك من نقص هامش الحرية والمشاركة السّياسية وتحوّل تلك الأنظمة الحاكمة إلى أنظمة دكتاتورية وتسلّطيّة، بل إنها أحزاب بقيت حاكمة منذ حصول هذه الدّول على استقلالها السّياسي وإلى يومنا هذا.

الحلول:

- ضرورة قيام النظام السياسي في هذه الدول على مجموعة من القواعد الأساسيّة المنظمة لعمليّة صنع القرار وبشكل دستوري.

- بما أن أساس النّظرة الدّيمقراطية يعود إلى المبدإ القائل إنّ الشّعب هو صاحب السّيادة ومصدر الشّرعية فإنه لابد من إعادة صياغة مصادر شرعية السلطة لتحل محلها الشرعية الديمقراطية الدستورية المستمدة من إرادة الشعب، ومن التّوافق الوطني العام، وهو ما يجسّد التّتويج الفعلي لبناء عملية التحول الديمقراطي، ويسهم في استعادة النظم السياسية لشرعيتها وصدقيتها.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

- وجملة القول إنّ الديمقراطية سمة حضارية بارزة تتوق لها شعوب العالم وتتطلع إليها، وهي باب مفتوح لولوج مقومات الإنسانية من حرية وحقوق إنسان وحق تقرير المصير. إلاّ أن الديمقراطية ليست هبة وعطاء يتكرم بها من يمتلكها على من يفتقدها ولا فريضة تفرضها قوة كبرى على قوة صغرى بالتهديد والوعيد أو بالسيطرة العسكرية وقوة السلاح. الديمقراطية هي حالة تفاعل مجتمعي ذاتي وخيار منطقي لعملية تطور وارتقاء تمرّ بها شعوب العالم وتنطلق ضمن إرادات تلقائية تتفاعل مع حركة الزمن ومع متطلبات المرحلة.

في العولمة

هل من المجدي التبشير بالديمقراطية المعولمة كما هو متعارف عليها حاليا؟ أم ينبغي دمقرطة العولمة حفاظا على مستقبل البشرية؟ وإذا كان الاحتمال الثاني هو الوارد؟ فما هو السبيل لتجاوز إكراهات العولمة؟

للإجابة على هذه التساؤلات يجدر بنا بادئ ذي بدء تحديد ماهية العولمة.

ماهية العولمة

- يذهب المفكر العربي محمد عابد الجابري إلى أنها ترجمة للكلمة الفرنسية التي تعني جعل «الشيء» على مستوى عالمي، أي نقله من المحدود والمراقب إلى اللاّمحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساسا الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وبمراقبة صارمة على مستوى الجمارك مثل نقل البضائع والسلع إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي، سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. أما اللامحدود فالمقصود به «العالم» أي الكرة الأرضية، فالعولمة إذن تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها.

- أما المؤسسات المالية كالمنظمة العالمية للتجارة أو صندوق النقد الدولي فإنهما ينظران للعولمة باعتبارها ترابطا في المصالح الاقتصادية للدول اعتمادا على بعضها البعض من أجل توسيع تبادل البضائع والخدمات وتنشيط الحركة الدولية لرؤوس الأموال وكذلك نتيجة لتسريع انتشار التقنيات الحديثة في ما بينها.

- ليست العولمة إذن نظاما اقتصاديا فقط بل منظومة كاملة ومتكاملة يحضر فيها الجانبان

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

السياسي والاجتماعي، ولعل العدوان على العراق يترجم مرحلة متقدمة في مسلسل العولمة، ألا وهي عسكرة العولمة، فبعدما تم التمهيد للعولمة اقتصاديا واجتماعيا هاهي الولايات المتحدة تخطو خطوة جديدة في نظام العولمة.

- إن العولمة في جوهرها مسلسل يهدف إلى توحيد العالم في كافة الميادين فيبدو كحتمية قائمة على التطورات العلمية والتكنولوجية المتلاحقة التي شهدت دفعة نوعية وتحولات جذرية في نهاية القرن الأخير.

مخاطر العولمة

- إن القضية الأهمّ للعالم المعاصر تكمن في هيمنة أمريكا على العولمة، فالخطر المباشر ليس في العولمة في حد ذاتها وإنّما في محاولة تماهي الولايات المتحدة الأمريكية مع العولمة.

لذا لابد للمجتمع الإنساني أن يخطو خطوات حثيثة لمواجهة تحديات العولمة.

بدائل العولمة

1/ السعي من أجل جعل العولمة ذات طابع ديمقراطي كي تضمن الحق في الاختلاف بل تدبير شروط هذا الاختلاف من خلال السماح بوجود أنظمة متعددة أي وجود نظام رأسمالي ونظام اشتراكي ونظام إسلامي وآخر وطني بشكل عام، وهذا الأمر لن يتحقق إلا باستمرارية الدولة القومية كمنبع لحكم القانون على اعتبار أن وجودها يشكل شرطا جوهريا مسبقا للضبط من خلال القانون الدولي، كما أنها بوصفها سلطة عمومية نافذة ضرورية لبقاء المجتمعات القومية التعددية.

2/ إتاحة فرصة أكبر للشعوب في كيفية اختيار طريقها للتنمية.

3/ تقوية دور المجتمع المدني، فهو لم يعد اليوم مطلبا شعبيا بل خيارا استراتجيا من شأنه أن يتحول إلى صمّام أمان يقي نظام العولمة نفسها من أي تعسّفات قد تحدثها للبشرية فيمسي بمثابة الضمير اليقظ الذي يكبح جماح متطرفي العولمة، فالحرص على تنويع أشكال تنظيم المجتمع المدني والانتقال من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية التّشاركية تحوله إلى قوة اقتراحية وآلية أساسية للتّحسيس والتنفيس والتعبئة إلى جانب جعل الفرد الأساس المحوري لأي تنمية مستدامة.

4/ جعل الفرد محور أيّ تنمية مستدامة لأن ذلك من شأنه أن يلطف من عواقب العولمة.

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

5/ إنّ النمو الاقتصادي الذي يحفزه العلم والثقافة ويمدّانه بالقوة الدافعة يستلزم نظاما تعليما متقدما.

6/ إن إرجاع العالم إلى رشده يتطلب تدخلا سريعا للنخب السياسية والنقابية والفكرية، ذلك أن هذه النخب هي التي رفعت شعار النضال من أجل إقرار الحقوق السياسية في القرن الثامن عشر ومهدت للثورة الفرنسيّة سنة 1789 وذلك بغية استعادة أولوية السياسة على الاقتصاد.

تكنولوجيا الإعلام في زمن العولمة

- اتخذت العولمة التي يعيشها العالم في الوقت الراهن من التكنولوجيا أهم الأدوات المنفذة لها ومن ضمن التكنولوجيا بشكل عام تكنولوجيا الإعلام.

- زاد الأمر رسوخا وتوسعا في زمن العولمة التي اكتسحت دول الجنوب ووصل الأمر في كثير من الأحيان إلى أن إحدى الشركات الإعلامية يزيد رأس مالها عن الناتج القومي لكثير من الدول المتخلفة التي تعيش في عالم الجنوب.

- تشهد الساحة الإعلامية الدولية اختلالا واسعاً وهائلا بين دول الشمال ودول الجنوب، إذ تشير الإحصائيات إلى أن 97% من الأجهزة المرئية موجود في دول الشمال، فضلاً عن87% من الأجهزة المسموعة من مجموع ما تملكه دول العالم. وإن دول الشمال هي المصدر الأساس لأكثر من 90% من مصادر الأخبار.

- تنطبق هذه الحقائق على شبكة المعلومات العالمية (الأنترنيت) فقد أصبحت لغات هذه الدول لاسيما اللغة الإنكليزية هي المهيمن الكامل على اللغات المستخدمة في مجال الإنترنت. ذلك أن معطيات 88% من الإنترنت تبث باللغة الإنكليزية مقابل 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية فيما يوزع 1% على بقية لغات العالم. ويتركز 60% من مجموع شبكة الإنترنت في العالم في الولايات المتحدة و 26% في دول أوروبا فيما تضم بقية دول العالم 14% فقط.

الأمر الذي يوضح لنا بجلاء مدى الهيمنة الكاملة والواسعة جداً لوسائل إعلام دول الشمال ومدى الاختلال الكبير الذي تعانيه إذا ما قورنت بوسائل الإعلام في دول الجنوب.

- أصبحت وسائل الإعلام بتكنولوجياتها المتفوقة إحدى أهم الوسائل لترويج مفهوم العولمة ونشره وترسيخه بين شعوب العالم فأصبحت الصناعات الإعلامية أدوات مهمة وإستراتيجية في تعميق مفهوم العولمة بين فئات الرأي العام العالمي.

- باتت التكنولوجيا بأنواعها المختلفة المستخدمة في العمل الإعلامي أداة مهمة من أدوات الغزو

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

الثقافي لشعوب دول الجنوب المتخلفة ذلك أن ثقافات هذه الدول أصبحت عرضة للاكتساح الثقافي والهيمنة الثقافية من قبل دول الشمال وذلك بفضل المد الهائل من البرامج والمواد الإعلامية المسوقة لدول الجنوب والتي في غالبيتها تؤكد سيادة الحضارة والثقافة الغربية وتقلل من أهمية ثقافات دول الجنوب في عالم لا تصمد فيه إلاّ الدول القوية.

- وجملة القول إنّ وسائل الإعلام لها تأثير كبير على عقول الناس وقادرة على تشويه الحقائق أو إخفائها بما يخدم مصالح القائمين عليها وحرب الخليج والحرب على يوغسلافيا كانت بداية الحروب الإعلامية والنفسية التي مارستها وسائل الإعلام.

- لقد اتضح في العقد الأخير من القرن العشرين أنه لا يكفي أن تنتصر في ساحة المعركة بل عليكَ أن تربحها على شاشات التلفزة لأن الحروب أضحت مسرحية تدخل كل منزل والحرب الإعلامية مسرحية خطيرة تؤثر في مصير الشعوب والدول. والعقد الأخير من القرن العشرين كان عقد اليقظة الإعلامية، إذ كانت وسائل الإعلام المحرك الأساسي لمشاعر الغالبية الساحقة من المجتمعات البشرية.

المياه ومسألة الأمن القومي العربي

إن المكانة والأولوية التي يحظى بها موضوع المياه الآن في العالم ليست نابعة من فراغ إذ يبدو أن هذه المادة قد قدر الله لها في الأزل أن تكون علة الحياة على كوكب الأرض وإكسيرها وقد تتسبب في إفنائها إما بالشح أو من خلال حروب مدمرة قد تتسبب فيها.

قيل قديما « إن الماء أرخص موجود وأعز مفقود». غير أن الإنسان لم يمعن في معنى هذه المقولة ولم يستخلص منها العبر الكافية ولذا فقد كانت الثروة المائية في الأرض عرضة للإهدار إضافة إلى ما تسبب لها من شح نتيجة للأحوال المناخية التي عرفتها الكرة الأرضية خاصة في المائة سنة الأخيرة، حيث تسببت موجات الجفاف والقحط التي ضربت أطراف الكرة الأرضية شرقا وغربا وجنوبا في نضوب الكثير من مصادر المياه كالأنهار والبحيرات والوديان والشلالات التي عرفت لقرون طويلة كمصادر للمياه ومنبع للحياة في أصقاع كثيرة من الأرض. وكنتيجة لهذا، أصبح عدد من الدول يقدر الآن بـ 22 دولة تحت خط الفقر في المصادر المائية، ومن المرجح أن يبلغ هذا العدد 66 دولة بحلول سنة 2024.

ومنذ أن أصبحت الثروة المائية العالمية مهددة بالتناقص، فإن بؤرا للنزاع حولها قد فتحت في آسيا وإفريقيا، خاصة حول منابع الأنهار والبحيرات. ولعل أصدق شهود على ما قلناه هو ما

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

وقع من خلافات بين مصر والسودان من جهة، والحبشة وأوغندا من جهة أخرى، وبين العراق وسوريا من جهة، وتركيا من جهة أخرى، وبين موريتانيا والسنغال. كما أن الأردن تتعرض مواردها المائية بانتظام إلى النهب والتهديد بالقطع من طرف دولة الاحتلال الصهيوني التي تسيطر على منابع المياه فيها، والحال ذاته بالنسبة إلى سوريا مع الكيان الصهيوني بخصوص بحيرة طبرية، إلى غير هذا من الأمثلة الكثيرة التي قد تتطور إلى نزاعات مسلحة بين الفرقاء إذا لم يتوصلوا إلى حلول قانونية وميثاقوية، الأمر الذي يضمن توزيعا عادلا لهذه الثروات المائية المشتركة، ويحول دون تفاقم التنازع حولها.

وقد لوحظ في العقود الأخيرة أن بعض الدول التي توجد منابع المياه في أراضيها قد اتخذت من ذلك وسيلة للضغط والابتزاز السياسي للدول الممرّ أو المطلة على هذه الأنهر والبحيرات، وذلك بإرادة منها أو بإيعاز من قوى خارجية تسعى بدورها إلى الضغط على الدول المتضررة في إطار مساومات سياسية حول سياسات ومواقف من قضايا سياسية معينة. كما أن جانب الجشع والاحتكار قد أغوى بعض الدول بإقامة السدود أو حتى بمحاولة تحويل مجرى الأنهار والبحيرات من أجل منفعة اقتصادية خاصة على حساب الدول المنتفعة الأخرى.

كل هذا قد يؤدي إذا ما استفحل، إلى نشوب نزاعات مسلحة بل وحروب مدمرة. وعليه، فعلى الدول المعنية أن تتوصل إلى تفاهمات ومواثيق قانونية تكون فيصلا بينها للحيلولة دون استفحال هذه النزاعات وذلك للوقوف أيضا دون جموح السياسات والأطماع التي قد تتسبب في إشعال فتيل النزاع حول مسألة المياه المشتركة. وإذا كان هذا وجه من وجوه مشاكل المياه، فإن مشكلة شحها أو ندرتها أصلا لدى بعض الدول قد يعرضها إلى أن تصبح عرضة للمساومة والابتزاز الاقتصادي والسياسي من طرف دول أخرى، كما هو الحال بالنسبة إلى الأردن ودول الخليج العربي، الأمر الذي قد يدفع بها هي الأخرى إلى الدخول في نزاع مع الدول المزوّدة.

وهكذا، فإنه لا يخفى على القارئ أن بؤر مشاكل المياه توجد أغلبها في المنطقة العربية أو على مشارفها. وعليه، فعلى العرب أن يبذلوا جهودا مضاعفة من أجل السيطرة على مسألة المياه والحيلولة دون تفاقمها لتصبح المهدد الرئيس للأمن القومي العربي. ولذا، على العرب أن ينظروا من الآن إلى مسألة المياه كمسألة محورية في الأمن القومي العربي، وأن يضعوا لأجل ذلك السياسات الاستراتيجية اللازمة للتعامل معها كمسألة بالغة الأهمية.

ونظن أنه ينبغي النظر إلى مسألة المياه بنفس النظرة المعطاة لمسألة الطاقة وأن يستثمروا في

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

جوانب صيانة الثروة المائية العربية وإثرائها، بل وأن يفكروا في وضع خطط للتكافل العربي في مجال المياه على نحو يستدعي مدّ الأنابيب والمجاري المائية في الدول صاحبة الثروة المائية إلى الدول المحتاجة. ولو استدعى ذلك سنّ سياسات مقايضة اقتصادية بين الماء وبعض المواد الأخرى كالنفط والمواد الفلاحية والصناعية.

كما أن على العرب أن يتعاونوا في حماية الثغور المائية العربية المهددة من طرف الدول المؤثرة استراتيجيا في حجم الثروة المائية العربية ومستواها..

قد يأتي يوم يجد العرب فيه أنفسهم في مستوى الافتقار المائي وعرضة للابتزاز السياسي والاقتصادي بفعل موضوع المياه، وقد لاحظنا كما ذكرنا آنفا بوادر هذا الابتزاز من طرف بعض الدول المؤثرة في مجاري بعض المصادر المائية العربية.

ولذا، فإن العقلية العربية في تعاملها مع موضوع المياه، ما زالت في المستوى العفوي والتلقائي البعيد عن أي مقاربة استراتيجية مسؤولة، وإلا فكيف يمكن للمرء أن يستوعب أن بعض الدول العربية تعاني من شح المياه في الوقت الذي يوجد البعض الآخر في مصب الأنهار الفياضة؟...

على العرب إذن أن يستفيقوا من غفلتهم بخصوص مسألة المياه، بل وبخصوص كافة القضايا المؤثرة استراتيجيا في وجودهم الحضاري، وبقائهم كأمة وجنس.

المسرح

يمر المسرح العربي، منذ سنوات طويلة، بحالة من الضياع والتخبط وقفت بينه وبين التحول إلى متعة ثقافية جماهيرية، كما هو شأنه في بلدان العالم المتقدم. ومرد هذه الحالة إلى عوامل متعددة، لعل أخطرها ضحالة الثقافة المسرحية السليمة لدى كثير من العاملين عندنا في المسرح وضعف اتصالهم بالمسرح العالمي المتطور. وثمة سبب آخر من أسباب أزمتنا المزمنة في مجال المسرح، هو افتقار مسرحنا العربي، بدرجة أو أخرى، إلى جمهور مستنير، يستطيع تمييز الصحيح من الزائف ويساعد فنان المسرح على معرفة مدى توفيقه أو إخفاقه من خلال الإقبال على عمله أو الانصراف عنه. وهذا الواقع المؤسف ليس إلا نتيجة منطقية لرداءة الأعمال المسرحية، التي تعرض على الجمهور، ولكنه في الوقت نفسه سبب يساعد على استمرار تردّي المسرح وتفاقم أزمته.

ولا يسعنا أن نغفل عاملاً سلبياً آخر يتمثل في طائفة من النقاد المزعومين، الذين انتهزوا فرصة خلوّ الساحة وغياب المقاييس السّليمة فاندفعوا إلى ممارسة ما يتوهّمونه نقداً مسرحياً،

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

تسوقهم أهواؤهم الشّخصية تارة وقلّة حظّهم من الثقافة المسرحية تارة أخرى. ومن غريب ما لاحظته أن بين هؤلاء النقاد من لم يدرسوا الفن المسرحي في معاهد متخصّصة ولم يمارسوا العمل الفعلي في المسرح، ومع ذلك فإنّ الصّحافة لا تبخل عليهم بمساحات يدلون فيها بآرائهم، التي هي أشبه بوصفات يكتبها أطباء دجّالون. وتبرز خطورة هذه المسألة إذا تذكرنا أن النقد هو البوصلة التي يهتدي بها فنانو المسرح في البلدان ذات التقاليد العريقة في هذا المضمار.

ويكفي أن نشير إلى أن الفرق المسرحية -في برودواي مثلا- تسهر ليلة العرض الأول لمسرحية جديدة حتى الفجر لتطلع على ما يقوله نقّاد الصّحف في عملها الجديد، لأن نجاح المسرحية أو فشلها يتوقّفان بالدرجة الأولى على رأي النقاد فيها. إن هذه العوامل الثلاثة التي ذكرناها أدت إلى بقاء المسرح العربي عموماً على حالته الراهنة، التي يتجاذبها تياران أساسيان:تيار المسرح الكوميدي التّجاري، الذي يراد به اجتذاب النّاس البسطاء إلى شبّاك التّذاكر، وهو تيّار يغلب عليه التّهريج والتّفاهة والنكات الفجّة، والماجنة أحياناً، وتيّار المسرح التجريبي، الذي يحفل - في الغالب- بصنوف البدع ومحاولات التجديد الساذجة التي لا علاقة لها بفن المسرح الحقيقي.

الدكتور رشيد ياسين
دعـوة إلى وعي الذات - فصول في نظرية الدراما والنقد المسرحي
من منشورات اتحاد الكتاب العرب 2000

السينما

تقتلع السينما المشاهد من رتابة إيقاعه اليومي لتدخله في إيقاعات جديدة ذات واقع متخيل وهي بذلك تبقى من بين أكثر المجالات الإبداعية دعوة للحلم. فالفضاءات الرحبة التي تنقل السينما المشاهد إليها ومنطق الأحداث الخاص بها الذي تعرضه أمامه متنفس لتطلعاته الخرافية أيضا. ولتطلعاته الدائمة في البحث عن الحقيقة وعن حريته المطلقة ولا شك في أن حل الإشكال الدائم لدى المشاهد القائم بين واقع الحياة بترسيماتها وقلقها وخوفها وتعقيداتها وتقييداتها من جهة وبين واقع البحث عن الطمأنينة والخلاص الأبدي والحرية المطلقة جعلت السينما كفن هام كما المسرح تبحث عن تقنية تمكنها من التقديم شبه الواقعي لأحداث أسطورية خرافية والتعبير الأسطوري الخرافي لأحداث واقعية أي كل ذلك قد جعل السينما تبحث عن تقنيتها التي تستطيع أن تعمل بشكل منسجم لترسيخ أسطورتها لذاتها في

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math

الوقت الذي تعمل فيه على إعادة تركيب الأسطورة من خلال أفلمتها وأفلمة الرواية الخرافية. من هذا المنطلق كانت السينما الغربية سباقة للاستفادة من ثروتنا الكبيرة من التراث العربي والمشرقي تلك الثروة التي تشكل مجمل وعينا الجمعي: (الأبطال والآلهة والحيوانات والخيالات والأوهام والأحلام والانفعالات...) لقد أفادت تلك السينما كفن تركيبي بالدرجة الأولى من حكايات ألف ليلة وليلة حين تحولت تلك الحكايات إلى رؤية سينمائية معاصرة على يد المخرج الإيطالي بازوليني وكذلك من أفلامه الأخرى عقدة أوديب ورحلات السندباد السبع 1958 للمخرج شارل شفيتزر وعلي بابا والأربعين حرامي 1954 للمخرج كلوْد أونان لارا ولص بغداد لميشيل باول.

وفي التراث العالمي نرى كيف استفادت السينما من الإلياذة والأوديسة ودون كيشوت وسبارتكوس والفاتنة والوحش والعودة الأبدية وأسطورة جلجامش وأسطورة دراكولا ومصاصي الدماء والخفافيش وما إلى ذلك.

يواجه الباحث في الانتاج العربي في ميدان السينما عدة عوائق. ويبدو أن أساس الصعوبة يعود إلى موقع هذا الفن على خارطة الثقافة العربية فالفكر العربي المعاصر لم يقارب حتى الآن هذا الفن بوصفه يستبطن في ذاته أبعادا متعددة ومتداخله رغم أن السينما أضحت تشكل حاليا عنصرا دالا لا يمكن طمسه داخل بنية الثقافة العربية وقد يعود هذا التغاضي إلى خصوصية الفن السابع بوصفه من عناصر الحداثة التي يستدعي التعامل معها نمطا سلوكيا محددا وتوظيفا للأشياء والكلمات قد يربك أحيانا مرجعية الإحالة والفهم وينقض بعض العادات والتصورات علاوة على هذا فالرقابة بوصفها جزء من بنية السلطة السياسية قد حدّت في غالب الأحيان من قدرة السينما على الكشف والإظهار وفي مستوى أقلّ تعميما نجد عوائق أخرى ترتبط ببعض الأسئلة التي مازالت محلّ نقاش بين النقّاد العرب حول تحديد بعض المفاهيم الضرورية لتعقّل الإنتاج السينمائي العربي وترتبط هذه الأسئلة بهوية هذا الفن ومعرفة التغيرات التي تحددها فهل هي لغة الشريط أم موضوعه أم انتماء المخرج أم الجهة التي تولّت تمويله.

كما ترتبط أيضا بكيفية قراءة تعدد الأصوات داخل السينما العربية: فهل هي واحدة موحّدة؟ أم أن هذا الكلّ يخفي تعدّدا يفرض الحديث عن سينماآت عربية؟

مجلة الفكر العربي
سبتمبر 1993

موقع مراجعة باكالوريا
BAC.MOURAJAA.COM
bac Math